(٤١)

قلق

لست(١) أدرى أقلق هذا يعبث بنفس رئيس الوزراء وزملائه ، أم هو شيء آخر أكثر من القلق ، وأشد منه هزا للنفوس وخلعا للقلوب وتشريدا للعقول والألباب ؟ ولست أدرى أيصدر هذا القلق أو هذا الفزع أو هذا الجزع عن ضعف فى أعصاب الوزراء بعد أن ألحت عليهم الحوادث المضنية ، وتعاقبت عليهم الأنباء المخيفة ؟ أم هو يصدر عن تقدير صحيح لموقف الوزارة واضطرابها المنكر بين اليأس والرجاء ؟ ولكن الشيء الذى لا شك فيه هو أن الوزارة فى هذه الأيام شديدة القلق إلى حد اليأس ، وأن الوزراء فى هذه الأيام لا يبتسمون للحياة ، كما أن الحياة السياسية لا تبتسم لهم . ولا ينظرون إلى المستقبل القريب مطمئنين كما أن المستقبل لا يبتهج بقدومهم عليه ودخولهم فيه . وإنما هو يغلق أبوابه فى وجوههم قليلا قليلا ، ويوشك أن يحكم إغلاقها حتى لا ينفذ منها النسيم ... !

أخطأت الأهرام منذ أيام فنشرت رسالة برقية كانت موجهة للبلاغ ، وفسرتها بما تعلم من حقائق الأشياء ، وبما تأمل من ألوان الخيال . ولم تكد تظهر الأهرام بالرسالة وتفسيرها حتى اضطرب الوزراء والمستوزرون ، أولئك هدهم الخوف ، وهؤلاء أحياهم الرجاء ! أولئك رأوا بيوتهم تستقبلهم عابسة مقطبة ، وقد خيم عليها حزن كاسف كثيف . وهؤلاء رأوا دواوين الوزارة تستقبلهم فرحة مرحة ، راضية مبتسمة لهم ، هذه الابتسامة الصفراء التى تبتسمها دائما مكاتب الوزراء للوزراء حين يقبلون عليها لأول عهدهم بالحكم ، وتدل بها على معان كثيرة أظهرها وأوضحها هذا المعنى الذى لا يفطن له وزير ، والذى يجب أن يفطن الوزراء جميعاً له ، وهو

---

(١) ٣٠ – ٤ – ١٩٣٣ عدد ٢٣٧٩

أن النهوض بالحكم ليس تخليداً فيه . وأن الابتسام للحكم إنما هو مقدمة سيتبعها العبوس للاستقالة . ولكن الانسان مغرور . وغروره يلهيه عن واجبه ويورطه فى كثير من الشر ، كان يستطيع أن يبرأ منه لو قدر أنه حين يدخل مكتبه زائر ، لا مقيم .

جزع الوزراء لنبأ الأهرام ، وكان رئيسهم أشدهم جزعا ، فلم يكد يتصل به النبأ حتى خف وكان ثقيلا ، وحتى نشط وكان فاتراً ، وحتى أسرع إلى التليفون فهز الهواء بين القاهرة ولندرة هزا كهربائيا عنيفا يلائم هذه الهزات التى أحدثها نبأ الأهرام فى نفسه ! وأزعج وزيرنا فى لندرة ، وكلفه حركة ونشاطا ، وسعيا واضطرابا ، وبحثا واستقصاء فتحرك وزيرنا واضطرب ، وسعى وزيرنا ونشط ، وبحث وزيرنا واستقصى ، ثم عاد إلى التليفون فهز الهواء مرة أخرى بين لندرة والقاهرة هزا فيه شىء من السخرية ، وفيه شىء من اليأس الحزين .

وتحدث رئيس وزرائنا بعد ذلك إلى الصحف لهدىء الناس، ويؤمن الأنصار ، فنشرت « الشعب » حديثه وجلة مذعورة ! ونشرت الأهرام حديثه متحدية متصدية ! وأحس الناس وجل « الشعب » وذاق الناس تحدى الأهرام . فألح الخائفون فى الخوف ، وألح الراجون فى الرجاء . والظاهر أن الوزراء لا يملكون أنفسهم ، ولم يستطيعوا أن يقروا قلوبهم فى صدورهم فسألوا رئيسهم حين اجتمعوا إليه يوم الخميس، وتحدث إليهم رئيسهم فى هذا الاجتماع كما تقول الأهرام صباح اليوم ، حديثاً لعله هدأ من روعهم بعض الشىء . وسرى عن نفوسهم بعض التسرية، ثم لم ينقض ليل ويطلع نهار حتى جاءت الأنباء البرقية إلى الصحف عامة بنصيحة المورننج بوست إلى رئيس الوزراء وألحاحها عليه فى أن يستريح ! فاشتد خوف الخائفين ، وعظم رجاء الراجين ، ولم يبق بد من إذاعة الحديث الذى كان بين الوزراء ورئيسهم فى اجتماع الخميس لعله يخفف لوعة الملتاعين من الأنصار ، ويلقى شيئاً من الكآبة على آمال المؤملين من عشاق الحكم

والمتلهفين على المناصب ، ولكنا نؤكد للذين أذاعوا هذا الحديث فى الأهرام ، أو أوعزوا باذاعته أنه لم يخفف لوعة ، ولم يهدىء روعة ، وأنه لم يبعث على آمال المؤملين كآبة ولا تقطيبا ، ذلك أن هذا الحديث كما نشرته الأهرام أشبه شىء بهذه التعلات التى تقدم إلى الجائع ليصبر على الجوع ، وإلى الظمآن ليحتمل الظمأ ، وإلى الخائف ليأمن بعض الأمن، ولكنها على كل حال لاتعلة تشبع جائعاً ، ولا تنقع صاديا ، ولا تؤمن خائفا مذعوراً .

زعم رئيس الوزراء لزملائه أن الأنباء التى أنبأه بها وزيرنا فى لندن تدل على أن المندوب السامى عائد إلى مصر فقيم فيها غير منقول منها . وأكبر الظن أن هذا النبأ لم يكد يقع فى قلوب الوزراء حتى برقت أساريرهم ، وانبعثت من صدورهم تنهدات مريحة ، ولكنهم لم يفكروا فى أن بقاء المندوب السامى إن صح لا يستلزم بقاء الوزارات . فصداقة المندوبين السامين فى السياسة ليست ثابتة ولا مطمئنة . ولم يفكروا فى أن تغيير الأعوان الذين يعمل معهم المندوب السامى فى القاهرة يجب أن يدل على شىء . ومن الراجح جدا أن هذا الشىء ليس مما يحب الوزراء ، وليس مما يطيق الوزراء أن يفكروا فيه .

وزعم رئيس الوزراء لزملائه أن اللجنة الانجليزية المصرية لم تنجح فيما أرادت أن تحمل الحكومة الانجليزية عليه من تغيير السياسة البريطانية فى مصر ، ومن توجيه هذه السياسة إلى تغيير النظام القائم ، لأنه لم يحقق ما كان ينتظر من العدل والإنصاف ، ولم يظفر بتأييد الكثرة المصرية له ، أو ميلها إليه .

ولكن رئيس الوزراء وزملاءه لم يفكروا فى أن الأهرام ستنشر لهم هذا الكلام ، وستضيف إليه تعليقا ظريفا ، وتفسيرا طريفا ، وهو أن اللجنة قد ألفت وفدا منها ليلقى وزير الخارجية البريطانية ، ويرفع إليه رأيها فى شئون مصر . وأن هذا الوفد لم يلق وزير الخارجية بعد ، ومعنى

ذلك عند الأذكياء والأغبياء جميعاً أن من التسرع وتعجل الأمور أن يقال إن هذه اللجنة لم تنجح . وإنما يقال ذلك بعد أن يتم اللقاء بين الوفد والوزير ، وتظهر نتيجة هذا اللقاء .

ولم يقدر رئيس الوزراء وزملاؤه أن الأهرام ستضيف إلى هذا التعليق الظريف تعليقا آخر ليس أقل منه ظرفا ، وهو أن المندوب السامى نفسه لم يظفر بلقاء وزير الخارجية بعد . ومعنى ذلك أن كل تنبؤ بنجاح خطة سياسية دون خطة . سابق لأوانه كما يقولون . ومعنى ذلك أن شبح الخوف يجب أن يظل قائما أمام الوزارة وأنصارها . وأن وجه الأمل يجب أن يظل مشرقا أمام المستوزرين .

أما المفاوضات والمحادثات ، وأما الاتفاق والمعاهدة ، فقد أبت الأهرام إلا أن تعرض لها تطوعا منها واحتسابا لوجه الله عز وجل . فأنبأتنا بأن الحكومة البريطانية كانت قد أذنت فى أول الشتاء بالحديث بين رئيس الوزراء ودار المندوب السامى حتى إذا انتهى إلى خير ، بدئت المفاوضات ، وبأن هذا الحديث كان قد بدأ بالفعل ولكن ما أصاب الوزارة من أزمة بعد قصة(١) البدارى لم يمكن من المضى فيه . وكلام

---

(١) كان عمدة البدارى قد أبلغ مأمور المركز عن أحمد جعيدى عبد الحق ، وعلى حسن أحمد أبى عاشور بأنهما خطران على الأمن فألزمهما مأمور المركز يوسف الشافعى بالمبيت بالمركز . وفى أثناء الليل كان يجرى عليهما أنواعا من التعذيب فصنع لجاما من الليف لكل منهما .

وكان يدخل العصا فى طيازهم . فانتهزا فرصة مرور المأمور فى إحدى الجهات وأطلقا عليه النار فسقط قتيلا . وقد حكمت محكمة جنايات أسيوط على أحمد جعيدى بالإعدام شنقا ، وعلى زميله بالحبس مع الأشغال الشاقة المؤبدة .

ولما عرضت القضية على محكمة النقض برياسة عبد العزيز باشا فهمى اعترف الشهود بأن المأمور كان يدق العصا فى طيازهم . (هكذا بالنص) .

وقد تبين لرئيس محكمة النقض أن الحكم الصادر من محكمة جنايات أسيوط قد=

الأهرام هذا تجديد للتحدى الذى تقدمت به إلى رئيس الوزراء والذى لم يستطع رئيس الوزراء أن يرد عليه وسيقبل رئيس الوزراء هذا التحدى . وسيغض الطرف عنه ، وما أكثر ما يغض رئيس الوزراء عينه على بعض الأقذاء .

ونتيجة هذا كله لا تسر ولا ترضى ولا تلائم ما يحب المصريون أن يشعروا به من أنهم كرام على أنفسهم . نبأ يأتى من إنجلترا فتخلع له قلوب ، وتبتهج له نفوس ، ويختلف أولئك وهؤلاء فيما يذهبون إليه من تعليل وتأويل . أولئك يخافون على ما فى أيديهم ، وهؤلاء يطمحون إلى ما ليس فى أيديهم . أولئك يرتقبون المعونة من الانجليز ، وهؤلاء يلتمسون الأمل عند الانجليز . أولئك وهؤلاء يلعبون بالورق ، وموضوع لعبهم هو مصر ، وأيهم ربح فى اللعب نظر إلى مصر على أنها وسيلة لا غاية ، وعلى أنها تكأة لا أكثر ولا أقل ... !

ليس هذا مما يسر ، وليس هذا مما يشعر المصريين بكرامتهم وعزتهم ، وليس هذا مما يقرب الأمد بين المصريين وبين الاستقلال الصحيح .

فما أجدر الذين يخافون أن يخافوا من مصر ، وما أجدر الذين يرجون أن يرجوا الخير من مصر . وما أجدر أولئك وهؤلاء أن يعتمدوا على مصر وحدها ، وأن ينفقوا ما ينفقون من جهد لتمكين مصر العزيزة الكريمة من أن تظفر بحقها من الانجليز الغاصبين ، وما أجدر هذا القلق

=أخطأه التوفيق ، وأرسل ملف القضية لوزير الحقانية على ماهر باشا لبحث إمكان إصدار عفو عن المتهمين . فدرس على ماهر ملف القضية ، وأعد بيانا ردا على سؤال لأحد أعضاء مجلس النواب ، ولكن إسماعيل صدقى لم يوافق على بيان على ماهر ، وبذلك استقال هذا الأخير . وقد أحدثت هذه القضية ضجة هائلة ، وكانت فضيحة للحكومة الإنجليزية التى تدعى الحياد وجيشها يحتل العاصمة ، ومندوبها يشرف على سياسة مصر الداخلية والخارجية .

الذى يعبث بنفوس اليائسين والطامعين أن يكون قلقا على منفعة مصر واستقلالها ، لا على الاحتفاظ بالحكم والوثوب إليه .